امبراطور الدولة الرومانية بسفارة إلى هارون الرشيد يوصيه برعاية حجاج بيت المقدس.

وفي الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر تقرب إليه ملوك الأسبان والافرنج بالطاعة والولاء، وأرسلوا إليه رسلهم وهداياهم من روما والقسطنطينية للمهادنة والسلم، وحضر إلى بابه بعثات من ملوك الأسبان المحاربين لبلاده، فقبلوا يد الخليفة والتمسوا رضاءه وساروا في موكبه فكانت هذه البعثات الدبلوماسية من ملوك وأمراء أسبانيا سبباً في استتباب السلام من مدة من الزمن.

وكان السفير يزود بجواز سفر أو ورقة طريق، فالمسلمون هم أول من وضع الباسبورت (جواز سفر). ولو تأملنا ما يتبع الآن في الدبلوماسية وتبادل السفراء والبعثات لم يخرج كثيراً عما اتبعه الخلفاء في أيام سلطانهم ومجدهم. وبذلك أصبح كثير مما اتبعه المسلمون موضوع تنفيذ الآن[1].

ثانياً: أثر الحضارة الإسلامية في الحياة الاجتماعية:

يتألف المجتمع الإسلامي من طبقات يقوم على رأسها الخليفة ثم أفراد أسرته ويليه كبار الموظفين، وبهذا يتكون المجتمع من الطبقات الآتية:

١ ـ الطبقة الحاكمة وتشمل الخليفة وكبار الموظفين وأتباعه.

٢ ـ الطبقة العليا وتشمل العلماء ورجال الدين والتجار والصناع.

---

(١) د/ عز الدين فراج، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

٣ ـ الطبقة الدنيا وتشمل الفلاحين والرعاة والحمالين والسقائين والرقيق.

٤ ـ الطوائف الأخرى: النصارى واليهود والصابئة.

وقد استطاع الإسلام أن يوحد بين الأجناس المختلفة ومزجها معاً في بوتقة الإسلام والعروبة(١).

واهتم الإسلام بالمرأة وكرمها وكان لها نصيب في المجتمع الإسلامي مثل زبيدة زوج الرشيد التي شاركت الخليفة مجده وعظمته وكذلك علية والعباسة ابنتا المهدي وكانت علية قدوة النساء في اتخاذ العصابة المطرزة بالجوهر، وكذلك العباسة كانت بطلة نكبة البرامكة. وهناك شاعرات ومغنيات مثل محبوبة جارية جعفر المتوكل وكانت بارعة في الفنون والأدب.

ولقد نادى الإسلام بحق المرأة في ممارسة حقوقها المدنية والعمل في التجارة والصناعة.

كما أن الإسلام نادى بالمساواة بين البشر وعلى حرية الرأي والعقيدة والتسامح والعدل والخير وحسن المعاملة والرحمة والإحسان(٢).

وقد انتقل كثير من العادات الكريمة كالأخلاق والتسامح والفروسية والشجاعة والمروءة إلى أوربا.

---

(١) د/ حسن الباشا، المرجع السابق، ص ١١٢ ـ ١١٤.

(٢) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية، جـ ١، ص ٥٨ ـ ٦٣.

وانشئت المدارس في غرب العالم الإسلامي، فقد انشئت المدارس في قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وملقا وغيرها. ومن أهم المدرسين القاضي عياض. واهتم بنومرين ببناء المدارس في بلاد المغرب وخاصة في مدينة فارس، ومن أشهرها مدرسة الصهريج ومدرسة العطارين وغيرها. وفي شرق العالم الإسلامي سار المغول على نهج السلاجقة والعباسيين فأنشأوا المدارس في بلادهم(١).

وإذا كانت المدارس هي معاهد الدراسات التخصصية والعليا فقد عرف العالم الإسلامي معاهد تعليم الأطفال والصغار من الذكور والإناث وهي المعروفة بالكتاتيب.

١٤ ـ كما آمن علماء المسلمين بفكرة التخصص، فقال ابن قتيبة: «من أراد أن يكون عالماً فليطلب فنا واحداً» كذلك امتدح العلماء التركيز ونادوا بالابتعاد عن المقدمات والاستطراد. ثم أن القرآن نص أولئك على أن الطبيعة مصدر هام من مصادر العلم، وبذلك فتح الإسلام الباب على مصراعيه للبحث في هذا الميدان بحثاً تجريبياً واقعياً(٢) وأدى ذلك إلى ظهور المذهب التجريبي. وعنه أخذ الأوربيون ونقلوه عن العرب من أجل الوصول إلى الحقيقة.

(١) د/ حسن الباشا، المرجع السابق، ص ١١٠ ـ ١١٢.

(٢) عباس العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ص ٩٨ ـ ٩٩.